يوم الأرض ومقاومة التهويد

يحيي شعبنا الفلسطيني ذكرى يوم الأرض في كل عام، تخليداً لذكرة استشهاد ستة شبان فلسطينيين ارتقوا بالداخل المحتل رداً على قرار مصادرة الاحتلال الإسرائيلي 21 ألف دونم من أراضي الجليل والمثلث والنقب، في الثلاثين من آذار عام 1976، حيث أصبح هذا اليوم مناسبة لتأكيد تجذر الشعب الفلسطيني بأرضه وتمسكه بوطنه وتخليدا لشهداء يوم الأرض.

شكّل "يوم الأرض" معلماً بارزاً في التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني، فقد أعلن فيه الفلسطينيون تمسكهم بأرض آبائهم وأجدادهم، وتشبثهم بهويتهم الوطنية والقومية وحقهم المشروع في الدفاع عن وجودهم، رغم عمليات القتل والإرهاب والتنكيل التي كانت ـ ولا زالت ـ تمارسها سلطات الاحتلال الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني لاقتلاعه من أرضه ودفعه إلى الهجرة إلى المنافي والمغتربات.

لكن شعبنا الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1948 تمسكت بأرضه وحافظ على إنتمائه الوطني إذ ارتفع عـدد السكان الفلسطينيين المقيمين في الأراضي المحتلة عام 48 من 150 آلف نسمة عام 1948 إلى مليون وسبعمائة ألف نسمة فـي نهاية عام 2021 ، **كما بلغ عـدد السكان الفلسطينيين المقدر فـي فلسطين التاريخية نهاية عام 2021 حوالي 7 مليون نسمة منهم 5.3 مليون في الضفة والقطاع (بواقع 3.2 مليون نسمة في الضفة الغربية و2.1 مليون نسمة في قطاع غزة).**

تتزامن الذكرى السادسة والأربعين ليوم الأرض مع إمعان العدو الصهيوني بجرائمه بحق القدس والمسجد الأقصى، عبر مصادرة الأراضي وتغول الاستيطان في القدس والضفة الغربية، وتكثيف عملياته الإرهابية ضد أهلنا في قطاع غزة عبر الحصار الخانق، والقصف والتدمير المبرمج والقتل والاغتيال الممنهج للمجاهدين الأبطال، والإمعان بعمليات القتل والتنكيل بأبنائنا المشاركين بمسيرات العودة والمرابطين في رحاب المسجد الأقصى.

لقد اعتبر الصهاينة الأرض الفلسطينية الركيزة الأولى، لإنجاح مشروعهم الصهيوني، كما أشارت الأدبيات الصهيونية وخاصة الصادرة عن المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال

بسويسرا عام 1897م؛ فقد دأب الكيان العنصري الصهيوني منذ نشوئه على ممارسة سياسة تهويد الأرض العربية واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم عبر ارتكاب المجازر المروّعة بحق الفلسطينيين، ولم تكتفِ سلطات الاحتلال الصهيوني بمصادرة أراضي الفلسطينيين الذين أُبعِدوا عن ديارهم وممتلكاتهم وأراضيهم، بل شرعت بمصادرة ما تبقى من الأرض التي بقيت بحوزة أهلنا المتمسكين بأرضهم، والرازحين تحت نير الاحتلال الصهيوني الغاشم.

يوم الأرض

في يوم السبت الثلاثين من شهر آذار من العام 1976، وبعد مرور ثمانية وعشرين عاماً من الاحتلال الصهيوني الغاشم لأراضينا المحتلة عام 1948، وفي ظل أحكام حظر التجول والتنقل، وإجراءات القمع والإرهاب والتمييز العنصري والإفقار وعمليات اغتصاب الأراضي وهدم القرى والحرمان من أي فرصة للتعبير أو التنظيم، **هبّ الشعب الفلسطيني في جميع المدن والقرى والتجمعات العربية في الأراضي المحتلة عام 1948 ضد الاحتلال الصهيوني**، واتخذت الهبة شكل إضراب شامل ومظاهرات شعبية عارمة، واجهتها قوات الاحتلال بالقتل والارهاب والتنكيل بالفلسطينيين العزل، معلنة أن فلسطين من البحر إلى النهر هي ملك للشعب الفلسطيني، فلا تجزئة كيانية ولا اسلاك شائكة، ولا احتلال ظالم، بل وحدة مصيرية، مترابطة يجمعها شريط الدم، وقوافل الشهداء، وسيوف القدس، وصواريخ غزة.

في يوم الأرض، انتفض المثلث وثار الجليل، سارت النسوة في عرابة وعرب السواعد، في دير حنا وفي كفر كنا، في سخنين، تصدى الرجال والشبان لقرارات الاحتلال بمصادرة الأراضي، بصدورهم العارية، وسواعدهم القوية، خاضوا معركة الدفاع عن الأرض، أرتقى إلى العلا ستة شبان فداء للأرض هم: خير ياسين، وخديجة شواهنة، ومحمد طه، ورجا أبو دية، ورأفت زهدي. إرتقوا شهداءَ لكنهم رفعوا مدماك التاريخ وأعلوا جدران الوطن، وأعلنوا عبر مئذنة المسجد الأقصى، وجرس كنيسة القيامة هذه الارض إلنا، وهذه بلادنا إلنا، ولن نفرط بحبة رملة.

يقولون، إن التاريخ لا يعاد ولا يتكرر، لكن شعبنا الفلسطيني اليوم يكسر المعادلة، فهو يصنع التاريخ، عندما هبّ عن بكرة أبيه لنصرة انتفاضة القدس في أيار عام 2021، عندما رفعت غزة سيف القدس. عندها فار الدم الفلسطيني في فلسطين المحتلة عام 1948، فار الدم الفلسطيني في الناصرة وفار في اللد وأم النور وفي كفر مندا ، وفي المثلث والجليل، قام شهداء يوم الأرض من جديد، ليعانقوا شهداء القدس ليكتبوا مرة أخرى على

مآذن القدس، صوتًا آخر لبلال وهو يؤذن: الله أكبر، الله أكبر، حيّا على القدس عاصمة دولتنا المستقلة، وحيّا على القدس قبلة المجاهدين.

إنَّ اشتراك فلسطينيي الـ48 في المواجهة أثناء معركة "سيف القدس" أعاد تذكير من حاول أن يتناسى أنّ فلسطينيي الـ48 هم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني، وأن قضيتهم هي القضية المركزية للفصائل الفلسطينية المجاهدة، وأن كل سياسات الأسرلة الاستيطانية ذات الأهداف الإحلالية، للهوية الوطنية لفلسطينيي الـ48 باءت بالفشل.

أكثر من ذلك، إنَّ الصراع بين فلسطينيي الـ48 و"إسرائيل" أثناء معركة "سيف القدس" أعاد القضية إلى مربّع النكبة والتهجير وملكية الأرض وغيرها من القضايا ذات العلاقة بصاحب الأرض الفعلي في فلسطين، وبالتالي إنه إعلان حقيقي وواضح بفشل سياسات الأسرلة والاستيطان الإسرائيلي على مدار 74 عامًا من الاحتلال، وأنَّ "إسرائيل" تحاول حتى الآن احتلال مدننا وبلداتنا الفلسطينية داخل الـ48، وأنَّها لم تحسم بعد معركة استيطانها لفلسطين.

ومن جديد تفجر يوم الأرض في 2022/1/13 في النقب عبر هبة جماهيرية شكلت محطّة جديدة وعلامة فارقة في تاريخ المنطقة، كونها تُعدّ الأولى من نوعها منذ سنوات طويلة؛ إذ ساد الصمت طيلة الفترة الماضية على عمليات تجريف أراضي الفلسطينيين في القرى والبلدات الفلسطينية، واكتفى الأهالي بالتوجّه إلى المحاكم الإسرائيلية، في محاولة لوقْف أعمال سرقة الأراضي أو تجميدها على الأقلّ. ولذلك، مثّلت المواجهات الحالية مفاجأة صادمة لدى سلطات الاحتلال خشية أن تصل لإعلان العصيان المدنيّ في أراضي الـ48، الأمر الَّذي أرعب الصهاينة وجعلهم يحسبون لشعبنا في النقب ألف حساب.

أما العملية البطولية المزدوجة التي نفذها الشهيد محمد غالب أبو القيعان، من بلدة حورة بالنقب المحتل والتي أسفرت عن مقتل 4 مستوطنين، جاءت لتكشف خواء العدو الصهيوني وضعفه، فهو كما قال السيد حسن نصرلله أضعف من بيت العنكبوت.

"إن هذه العملية المباركة، جاءت نتيجة طبيعية وردًا مشروعًا على سادية الاحتلال وجرائم قطعان المستوطنين بحق أهلنا وشعبنا في النقب والقدس والضفة والداخل المحتل."

ودعوة لجماهير شعبنا في القدس والنقب والضفة والداخل المحتل، إلى تصعيد العمل المقاوم، فقد آن الأوان لإطلاق انتفاضة شاملة يقف فيها شعبنا صفا واحدا وبنيانا مرصوصا، في مواجهة الاحتلال في كافة المدن والقرى والبلدات الفلسطينية.

أما السبب المباشر لهبة يوم الأرض

كان السبب المباشر لهبّة يوم الأرض هو قيام السلطات الصهيونية بمصادرة نحو 21 ألف دونم من أراضي عرّابة وسخنين ودير حنّا وعرب السواعد وغيرها لتخصيصها للمستوطنات الصهيونية في سياق مخطّط تهويد الجليل.

ويشار هنا إلى أن سلطات الاحتلال قد صادرت خلال الأعوام ما بين عام 1948 ـ 1972 أكثر من مليون دونم من أراضي القرى العربية في الجليل والمثلث، إضافة إلى ملايين الدونمات الأخرى من الأراضي التي استولت عليها سلطات الاحتلال بعد سلسلة المجازر المروّعة التي ارتكبها جيش الاحتلال وعمليات الإبعاد القسّري التي مارسها بحق الفلسطينيين عام 1948.

فهبّة يوم الأرض لم تكن وليدة صدفة بل كانت نتيجة طبيعية لوصول معاناة الشعب الفلسطيني إلى حد الانفجار، وكذلك تجاوز الكيان الصهيوني لكل المحرمات والخطوط الحمر التي رسمتها المنظمات الدولية في فلسطين المحتلة منذ قيام الكيان الصهيوني.

وقد شارك الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1967م أشقاءه المنتفضين ضد الاحتلال في أراضينا المحتلة عام 1948، وأصبح يوم الأرض مناسبة وطنية فلسطينية وعربية ورمزًا لوحدة الشعب الفلسطيني التي لم تنل منها كل عوامل القهر والتمزق، وذكرى للتلاحم البطولي للشعب الفلسطيني في جميع أماكن تواجده.

<u>خطة تهويد الجليل</u>

"احتفظت منطقة الجليل رغم كافة السياسات الصهيونية بأغلبيتها العربية، مع أنها المكان الذي أمعن فيه الصهاينة في تطبيق سياسة التهويد لمحاولة فرض يهودية الكيان"

تطبيقًا لسياسة التهويد، **أعلنت السلطات الصهيونية في أوائل عام 1975 عن خطة لتهويد الجليل تحت عنوان: مشروع "تطوير الجليل"** ، وهي الخطة التي تعد من أخطر ما خططت له حكومة الكيان الصهيوني ؛ إذ اشتمل على تشييد ثمان مدن صناعية في الجليل. **مما يتطلب مصادرة 20 ألف دونم من الأراضي العربية.**

ذلك أن نظرية الاستيطان والتوسع توصي بألا تُقام مظاهر التطوير فوق الأراضي المطورة ، وإنما فوق الأراضي البور والمهملة، وهي التسميات التي تُطلق على الأراضي التي يملكها العرب.

وقد شكّلت عملية تهويد الجليل ـ وما تزال ـ هدفًا من أهداف الحركة الصهيونية وهاجسها، فقد حدد بن غوريون هذا الهدف بقوله: "الاستيطان نفسه هو الذي يُقرر إذا كان علينا أن نُدافع عن الجليل أم لا."

وتطابقًا مع السياسة الصهيونية، تجاه الأرض، **فقد احتل الكيان الصهيوني عام 1948 أقساماً واسعة من الجليل**، وأقام فيها العديد من المستوطنات، وبرر الصهاينة عملية الاستيلاء على الأراضي، بأنها أراضٍ للغائبين، ولكن الاستيلاء لم يقتصر على أراضي الغائبين، وإنما وضع يده على "أملاك" حكومة الانتداب البريطاني ، **وتقدر هذه الأراضي بحوالي 2-3 مليون دونم** ، لكن الكيان الصهيوني لم يكتفِ بتلك الأراضي ، وإنما امتدت يده إلى أراضي الفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم، **وكان العرب يملكون حتى عام 1948 حوالي 13 مليون دونم من أصل 27 مليون دونم، بينما لم يكن للكيان الصهيوني سوى 5.1 مليون دونم ، والباقي أراضٍ مشاع.**

بدأ العدو الصهيوني منذ عام 1948 بسرقة الأراضي العربية وأخذ يُصدر القوانين المتعددة الأسماء والأشكال لتكون سرقتها "مبررة وشرعية" (!!) فمن قانون الأراضي البور إلى المناطق المغلقة، إلى قانون أملاك الغائبين إلى مناطق الأمن، إلى استملاك الأراضي . إلى إرغام العرب على رهن أراضيهم، حتى تمكنت من تجريد العرب من حوالي مليون دونم من أخصب وأطيب أراضيهم. ولم يتوقف الكيان الصهيوني عن استصدار "قوانينه"، وممارسة سياساته ، التي تتمشى وفقا لنظريته القائلة: "ما أصبح في يدنا هو لنا، وما يزال في يد العرب هو المطلوب."

وكان آخر القوانين في هذا المجال ، هو الذي صدر عن **مجلس وزراء الكيان الصهيوني** بشأن مصادرة الأراضي بحجة تطوير الجليل، وبعد أن زادت نسبة سكان العرب فيه عن 50 بالمائة.

الدفاع عن الأرض

تحرك فلسطينيو الجليل ، بعد أن أدركوا هدف القرار ففي 1975/7/29 عُقد اجتماع للتشاور في حيفا، حضره عدد من المبادرين لحملة الاحتجاج على مصادرة الأراضي، وقد ضم هذا الاجتماع عدداً من رؤساء المجالس المحلية، ومحامين، وأطباء، ومثقفين وصحفيين، وأصحاب أرضي وتقرر في هذا الاجتماع، تأليف لجنة للدفاع عن الأرض سُميت باللجنة القُطرية للدفاع عن الأراضي.

بعد تشكيل هذه اللجنة، **دعت إلى اجتماع في الناصرة يوم 1975/08/15، واتخذت عدداً من المقررات، كان من أبرزها: الدعوة لعقد مؤتمر شعبي للمطالبة بوقف المصادرة، وإصدار نداء إلى الرأي العام لحثه على مقاومة المصادرة.**

ودعت اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي لاجتماع آخر في الناصرة يوم 1976/03/06 دعت إليه حوالي عشرين رئيساً من رؤساء المجالس المحلية، واتخذ المجتمعون قراراً بإعلان الإضراب العام يوم 1976/03/30 استنكاراً لمصادرة الأراضي.

كان تحديد ذلك اليوم ثمرة تصاعد النضال الوطني في الجليل وبلوغه مستوى كبير من التنظيم، فقبل ذلك ومنذ النكبة كانت مقاومة عرب 48 قاصرة على الدفاع "السلبي" بالتمسك بالأرض ، والبقاء عليها ، والتكافل فيما بينهم، ورفض محاولات التفرقة بين صفوفهم وانتظار الظروف المناسبة للهجوم، وإعداد الجيل الجديد من أبنائهم لتلك اللحظات.

شهداء الأرض

1. **الشهيدة خديجة شواهنة.**
2. **الشهيد رجا أبو ريا.**
3. **الشهيد خضر خلايلة من أهالي سخنين،**
4. **الشهيد خير أحمد ياسين من قرية عرَّابة.**
5. **الشهيد محسن طه من قرية كفركنا.**
6. **الشهيد رأفت علي زهدي من قرية نور شمس الذي استُشهد في قرية الطيبة.**

إضافة لعشرات الجرحى والمصابين، وبلغ عدد الذين اعتقلتهم قوات الاحتلال الصهيوني أكثر من 300 فلسطيني.

قرار الدعوة إلى إضراب عام لفلسطينيي الـ 48، هو أول قرار من نوعه منذ النكبة وبدأت الجماهير تُحضر لذلك اليوم التاريخي، ولم تكن أسلحتهم إلا الحجارة، والعِصي والفؤوس، والمناجل، والسكاكين، وصفائح البنزين المشتعلة، ومحاولة الاستيلاء على أسلحة الجيش، واستجابت كل التجمعات العربية في الجليل للإضراب، رغم محاولات الكيان الصهيوني إفشال هذا اليوم وبأي ثمن.

خاتمة

لقد انصهر شعبنا الفلسطيني بكل فئاته في بوتقة وطنية جامعة، معلنا رفضه القاطع لسياسة الاستفراد التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد أهلنا في الأراضي المحتلة عام 1948، وأنهم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني، ويقع على عاتقهم نصرة شعبنا الفلسطيني في باقي الأراضي الفلسطينية المحتلة في القدس والضفة الغربية والقطاع الأبي. كما "ستبقى الأرض الفلسطينية محور صراع مفتوح مع العدو الصهيوني, وسيجدد الشعب الفلسطيني العهد والقسم من أجل تحريرها في ذكرى "يوم الأرض" من كل عام .